سالومة

مأساة فى فصل واحد

للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد

بقلم الدكتور حسن صادق

الاشخاص

(١) هيرودس أمير يهودية من أعمال فلسطين
(٢) يوحنا المعمدان ، النبي
(٣) السوري الشاب ، رئيس الحرس
(٤) تيجلان ، شاب روماني
(٥) نوبي
(٦) الجندي الأول
(٧) الجندي الثاني
(٨) غلام هيرودية
(٩) عبد
(١٠) نعمان ، الجلاد
(١١) يهود وأشخاص من الناصرة
(١٢) كابادوس (رجل من بلد بآسيا الصغرى)
(١٣) صدوقي (نسبة إلى رجل سيأتي ذكره)
(١٤) هيرودية ، زوج هيرودس
(١٥) سالومة ، بنت هيرودية من زوجها الأول
(١٦) جند وعبيد وإماء

المنظر

(شرف Terrasse كبير في قصر هيرودس في نهايته باب يؤدي إلى ردهة الحفلات والولائم ، وفي الجهة اليسرى سلم كبير ، وفي نهايتها صهريج عتيق يحيط به جدار من الشبه الأخضر ، وعند حاجز الشرف عدد من الجند متكئين عليه بمرافقهم ... القمر بازغ)

السوري الشاب — ما أجمل الأميرة سالومة هذا المساء !

غلام هيرودية — أنظر إلى القمر ! ما أغربه الليلة ! يخيل إلىّ أنه امرأة خارجة من القبر... إنه أشبه شيء بامرأة ميتة . كأنى به يبحث عن موتى

السوري الشاب — نعم . القمر الليلة ما أغربه ! إنه كأميرة صغيرة على وجهها نقاب رقيق أصفر اللون ، ولها قدمان من فضة ، إنه كأميرة لها قدمان كيمامتين صغيرتين ناصعتى البياض ... كأنى به يرقص

غلام هيرودية — إنه كامرأة ميتة . أنظر إليه كيف يسير فى بطء شديد !

(يسمع ضوضاء فى ردهة الولائم)

الجندي الأول — ما هذه الجلبة الشديدة ؟ من هؤلاء الذين يصيحون كأنهم الذئاب العاوية ؟

الجندي الثاني — إنهم اليهود وهم يحدثون ضوضاء في كل مجلس ، ويتجادلون في دينهم أينما حلوا

الجندي الأول — ولماذا يتجادلون فى دينهم ؟

الجندي الثاني — لا أدرى . هذا طبعهم الذي يصحبهم فى كل موطن ، فالفريسيون منهم يؤمنون بوجود الملائكة ، والصدوقيون (نسبة إلى صدوق ، رجل يهودى عاش فى القرن الثالث قبل المسيح وأنشأ مذهباً (دينياً عرف باسمه) ينكرون وجودها

الجندي الأول — الجدال فى مثل هذه الأشياء لغو وسخف

السوري الشاب — ما أجمل الأميرة سالومة هذا المساء !

غلام هيرودية — إنك تطيل النظر إليها وتلتهمها بعينيك ! لا يجوز أن تحدق فى الناس بهذه الطريقة المنكرة ... قد تقع بنا ملمة !

السورى الشاب — إنها فاتنة فى هذا المساء رائعة

الجندى الأول — الأمير مكتئب

الجندي الثانى — نعم يبدو عليه الاكتئاب

الجندى الأول — إنه ينظر إلى شىء

الجندى الثانى — إنه ينظر إلى شخص

الجندى الأول — إلى من ؟

الجندى الثانى — لا أدرى

السورى الشاب — ما أشد اصفرار الأميرة ! لم أرها قط ممتقعة اللون إلى هذا الحد ! كأنها انعكاس وردة بيضاء إلى مرآة من الفضة !

غلام هيرودية — كف عن النظر إليها . إنك تحدق فيها كثيراً !

الجندى الأول — ملأت هيرودية كأس الأمير

الكابادوسى — أهى الملكة هيرودية تلك التى تلبس قلنسوة سوداء مرصعة باللآلىء ، وقد نشرت على شعرها مسحوقاً أزرق ؟

الجندى الأول — نعم ، إنها هيرودية زوج الأمير

الجندى الثانى — الأمير مولع بالنبيذ ، ولديه منه أنواع ثلاثة ! الأول من جزيرة ساموتراس ، أرجوانى اللون كعباءة قيصر

الكابادوسى — لم أر قط قيصر

الجندى الثانى — والثانى من مدينة قبرص ، أصفر اللون كالذهب

الكابادوسى — أحب الذهب كثيراً

الجندى الثانى — والثالث من صقلية أحمر اللون كالدم

النوبى — آلهة بلادى يحبون الدم ويكلفون به ، ونحن نقدم إليهم قرابين من الفتيان والعذارى مرتين فى كل عام : مائة عذراء ، ونصف هذا العدد من الشبان فى كل مرة . ولكن يظهر أننا لا نقدم إليهم من الدم ما يطفىء غلتهم لأنهم برغم ما نفعل يشتدون فى قسوتهم علينا إلى حد بعيد

الكابادوسى — بلادى خالية من الآلهة فى الوقت الحاضر ، لأن الرومان قد طردوهم منها . ومن الناس من يقول إنهم لجأوا إلى الجبال ، ولكنى لا أعتقد ذلك . لقد قضيت ثلاث ليال فى الجبال أبحث عنهم بحثاً دقيقا ولكنى لم أجدهم ، ثم ناديتهم بأسمائهم فلم أسمع جواباً على ندائى . والرأى عندى أنهم قضوا نحبهم جميعاً

الجندى الأول — اليهود يعبدون إلهاً لا تراه العيون

الكابادوسى — لا أستطيع أن أفهم ذلك

الجندى الأول — خلاصة القول أنهم لا يؤمنون إلا بما لا يرى

الكابادوسى — فى إيمانهم سخف كبير

صوت يوحنا — سيأتى من بعدى آخر أكثر قدرة منى . إنى لست جديراً حتى بأن أحل سيور نعاله حين يأتى . ستخضر الأرض الجرداء وتزدهر ، وترى عيون العمى ضوء النهار ، وتسمع آذان الصم مختلف الأصوات ... سيضع الوليد الجديد يده على بيوت التنين ويقود السباع من أعناقها

الجندى الثانى — مره بالسكوت . إنه يقول دائماً هراء

الجندى الأول — ولكنه رجل طيب القلب ، نقى السريرة ، وديع الخلق ؛ كل يوم أعطيه يأكل وهو يقدم إلىّ الشكر دائما

الكابا دوسى — من عسى أن يكون ؟

الجندى الأول — إنه نبي

الكابا دوسى — ما اسمه ؟

الجندي الأول — يوحنا المعمدان

الكابا دوسي — من أين جاء ؟

الجندى الأول — من الصحراء ... غذاؤه فيها الجراد والعسل البري . وكان يستر جسده بوبر الابل ويحمل في وسطه حزاماً من الجلد ؛ وكانت هيئته رهيبة موحشة ، ولكن عدداً كبيراً من الناس كان يتبعه ... كان له فضلا عن ذلك أتباع وتلاميذ

الكابا دوسي — عن أى شى يتكلم ؟

الجندى الأول — لم نعرف قط . وفى بعض الأحيان ينطق بكلام مزعج مخيف ، ولكن من المستحيل إدراكه

الكابا دوسى — هل من الجائز رؤيته ؟

الجندى الأول — كلا . هذا أمر لا يبيحه الأمير

السورى الشاب — أخفت الأميرة وجهها خلف مروحتها . يداها الصغيرتان البيضاوان تتحركان كيمامتين تطيران نحو عشهما ... إنهما كفراشتين ناصعتى البياض .. ما أشبههما بفراشتين بيضاوين !

غلام هيرودية — ما لك ولهذا ؟ ! لماذا تنظر إليها ؟ ينبغي أن تقلع عن النظر إليها ... قد تجمجع بنا ملمة !

الكابا دوسى — (مشيراً إلى الصهريج) أى سجن عجيب !

الجندي الثاني — أنه صهريج عتيق

الكابا دوسى — صهريج عتيق ؟ ! إنه ردئ وبيل ، ماق ذلك شك

الجندى الثانى — كلا . لقد مكث فى هذا الصهريج شقيق الأمير الأكبر وزوج الملكة هيرودية اثنتى عشرة سنة سجيناً ولم يمت ، فاضطر الأمير في النهاية إلى خنقه

الكابا دوسي — خنقه ؟ ! من ذا الذى جرؤ على هذا العمل ؟

الجندى الثانى — (مشيراً إلى الجلاد وهو عبد ضخم) هذا الرجل ، نعمان

الكابا دوسى — ألم يشعر بالخوف ؟

الجندى الثانى — كلا ، لأن الأمير أرسل إليه الخاتم

الكابا دوسى — أى خاتم ؟

الجندى الثانى — خاتم الموت ، ومن أجل هذا لم يشعر بخوف

الكابا دوسى — ومع ذلك فإن من الفظاعة خنق ملك

الجندي الأول — لماذا ؟ ليس للملوك إلا عنق واحدة كغيرهم من الناس

الكابا دوسى — يخيل إلىّ أن ذلك عمل بشع رهيب

السورى الشاب — نهضت الأميرة وغادرت المائدة وعلى وجهها سمة الضجر . آه ! إنها تسير إلى هذه الناحية . نعم إنها مقبلة علينا . ما أشد اصفرارها ! لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد !

غلام هيرودية — لا تنظر إليها ، أرجو ألا تحدق فيها

السورى الشاب — إنها كالحمامة التى ضلت ... إنها كزهرة نرجس يتلاعب بها الهواء ... ما أشبهها بزهرة من فضة !

(تدخل سالوما)

سالوما — لن أبقى . لا أستطيع البقاء . لماذا ينظر إلىّ الأمير دائماً بعينى أرعن فاجر تحت هدبين مضطربين ؟ غريب أن ينظر إلىّ زوج أمى بهذه العين ! لا أدري ماذا تعنى نظرته هذه ... فى الواقع نعم . أعرف معناها ومرماها

السورى الشاب — أتركت الوليمة أيتها الأميرة؟

سالوما — الهواء هنا منعش ما أجمله ! آه ! هنا أتنفس بعد ضيق ! فى الردهة يهود من أورشليم يقتتلون جدالا فى شأن طقوسهم السخيفة ، وبرابرة يشربون بلا انقطاع ويلقون بالنبيذ على أرض الردهة ، ويونانيون من أهل أزمير قد موهوا عيونهم وزينوا خدودهم بالأصباغ وجعدوا شعورهم وجعلوها جدائل متفرقة ، ومصريون يستطيبون الصمت والرزانة السامية ، على أصابعهم وشم وعلى أجسامهم عباءات سمراء ، ورومانيون تصحبهم خشونتهم وجمود نسيمهم وكلماتهم الجافة الغليظة ! آه لشد ما أكره الرومان ! إنهم من حثالة الناس ويتخذون لأنفسهم هيئة العظماء !

السورى الشاب — أتريدين الجلوس أيتها الأميرة ؟

غلام هيرودية — لماذا تخاطبها ؟ لماذا تحدق فيها بعينيك ؟ أوه ! سيقع خطب لا محالة

سالوما — ما أجمل أن يرى الإنسان القمر ! إنه يشبه الدرهم الأخاذ . كأنى به زهرة صغيرة من الفضة ... القمر بارد نقى الإزار ... أعتقد تمام الاعتقاد أنه كالفتاة العذراء ، له جمالها وطهرها . نعم إنه عذراء لم تدنس نفسها ولم تستسلم قط للرجال كالربات الأخريات

صوت يوحنا — لقد أتى السيد ! أتى « ابن الإنسان » فاختبأ القنطورس (أي الستور نصفه آدمى ونصفه الآخر حيوانى) فى الأنهار ، وغادرتها بنات الماء ورقدت تحت الشجر فى الغابات

سالوما — من هذا الذي نطق صارخا بهذه الكلمات ؟

الجندى الثانى — إنه النبي أيتها الأميرة

سالوما — آه ! النبي ... أهو الذى يخافه الأمير؟

الجندى الثانى — هذا أمر لا نعرفه ... إنه النبي يوحنا

السورى الشاب — أتريدين أن أطلب لك هودجك أيتها الأميرة ؟ الجو جميل فى الحديقة

سالوما — إنه يقول عن أمى أشياء فظيعة ، أليس كذلك ؟

الجندى الثانى — إننا لا نفهم مايقول يامولاتى

سالوما — إنه يرميها بأشنع الأقوال

عبد — الأمير يامولاتى يطلب منك راجياً أن تعودى إلى الوليمة

سالوما — لن أجيب هذا الرجاء

السورى الشاب — عفواً أيتها الأميرة ... قد يقع خطب إذا أصررت على رفض العودة

سلوما — هل النبي شيخ كبير ؟

السورى الشاب — أيتها الأميرة ، يحسن أن تعودى ... أسألك الإذن فى أن أصحبك إلى هناك

سالوما — النبي ... هل هو شيخ كبير ؟

الجندى الأول — كلا . إنه فى زهرة العمر وميعة الصبا

الجندى الثانى — هذا أمر مجهول . يقول بعض الناس إنه إلياس النبي

سالومـا — ومن هو إلياس ؟

الجندى الثانى — نبي قديم من أنبياء هذه البلاد

عبد — أى جواب أحمله إلى الأمير يامولاتى؟

صوت يوحنا — ضربت عليك الذلة يا أرض فلسطين ، فلن تتمتعي أبداً لأن عصا الذى ضربك قد كسرت وتحطمت . سيخرج من سلالة الثعبان صل ، وما يولد منه سيلتهم الطير

سالومـا — ما أغرب هذا الصوت ! إن شوقاً ملحاً يدفعنى إلى مخاطبته

الجندى الأول — أخشى أن يكون هذا مستحيلا أيتها الأميرة . الأمير لايريد أن يكلمه أحد ، متى إنه حظر على الكاهن الأكبر التحدث إليه

سالومـا — أريد أن أكلمه

الجندى الأول — مستحيل أيتها الأميرة

سالومـا — أريد ذلك

السورى الشاب — يجمل بك أيتها الأميرة أن تعودى إلى الوليمة

سالومـا — أخرج النبي

الجندى الأول — لانجرؤ

سالومـا — (تدنو من الصهريج وتنظر إلى داخله) سجن ما أظلمه ! إنه لفظيع ، كما أعتقد ، أن يقيم الانسان فى ثقب جاكك الظلمة مثل هـذا ... إنه كالقبر ... (إلى الجند) ألم يصل إلى سمعكم ما قلت؟ أخرجوه ، أريد أن أراه

الجندى الثانى — أسألك ضارعا أيتها الأميرة ألا تطلبي إلينا ذلك

سالومـا — إنكم تبطئون في إنفاذ أمرى

الجندى الأول — أيتها الأميرة ، حياتنا ملك لك ، ولـكننا لانستطيع إنفاذ ما تطلبين ... وفضلا عن ذلك فاننا لسنا نحن الذين ينبغي أن توجهى إليهم طلبك

سالومـا — (تنظر إلى السورى الشاب) آه !

غلام هيرودية — أوه ! أى شئ سيحدث ؟ إنى مستيقن بأن مصيبة ستحدث

سالومـا — (تدنو من السورى الشاب) ستفعل ذلك من أجلى ، أليس كذلك ؟ ستفعله فى سبيلى . أنسيت أنى أحسن معاملتك فى كل حين ؟ إذن ستفعل ما أطلب إرضاء لى . أريد فقط أن أراه ، هذا النبي العجيب . لقد كثر الـكلام عنه ، وسمعت الأمير يتحدث فى شأنه جملة مرات ، وأظن أنه يخافه ويخشاه ... أوقن بأن الأمير يخشاه . هل تخافه أنت أيضاً ؟

السورى الشاب — كلا أيتها الأميرة . إنى لا أخاف أحداً . ولـكن الأمير يحرم تحريماً قاطعاً رفع غطاء هذا الصهريج

سالومـا — ستفعل ما أريد ، وغدا حين أجتاز بهودجى باب بائعى الأصنام ، سأدع زهرة صغيرة تسقط من يدى على الأرض ، زهرة صغيرة خضراء يانعة ، هي لك

السوري الشاب — أيتها الأميرة ، لاأستطيع ، لا أستطيع

سالومـا — (ياسمة) ستفعل ذلك فى سبيلى . أنت مستيقن بأنك فاعل ذلك من أجلى ، وغدا حين أسير بهودجى على جسر مشترى الأصنام سأهدى إليك نظرة خلال الستائر الرقيقة . وقد أبتسم لك أيها الشاب . أنظر إلىّ ... آه ! أنت مستيقن بأنك فاعل ما أطلب . تعرف ذلك جيداً ، أليس كذلك ؟ ... أما أنا فانى أعرف جيداً

السورى الشاب — (يشير إلى جندى ثالث) أخرج النبي ... الأميرة سالوما تريد أن تراه

سالوما — آه :

غلام هيرودية — أوه : ما أغرب شكل القمر ! كأنه يد ميتة تحاول أن تغطى نفسها بكفن !

السورى الشاب — عليه سمة الغرابة . كأنى به أميرة صغيرة ، لها عينان من عنبر ... إنه يبتسم خلال السحب الرقيقة كأميرة صغيرة

(يخرج النبي من الصهريج . تنظر إليه سالوما وتتراجع)

يوحنا — أين ذلك الذى امتلأت كأسه بكبائر الاثم حتى فهقت ؟ أين ذلك الذى سيموت ذات يوم أمام الشعب فى ثوب فضى ؟ قولوا له أن يأتى حتى يستطيع أن يسمع صوت الذى صرخ فى الصحارى وفى قصور الملوك

سالوما — من يعنى بقوله ؟

السورى الشاب — لايستطيع إنسان أن يعرف أيتها الأميرة

يوحنا — أين تلك التى رأت على الجدران صور كلدانيين ملونة فاستفادت لشهوة عينيها ، وأرسلت إلى بلادهم الرسل والسفراء ؟

سالوما — إنه فى شأن أمى

السورى الشاب — كلا

سالوما — بلى ، انه عن أمى يتكلم

يوحنا — أين تلك التى استسلمت لرؤساء الجند الأشوريين الذين في أوساطهم حمائل للسيوف بهيجة وفوق رؤوسهم تيجان ذات ألوان متباينة ؟ أين تلك التي استسلمت لشبان من المصريين أقوياء الأجسام يلبسون ثياباً من كتان محلاة بالزمرد ويحملون دروعاً من ذهب وخوذاً من فضة ؟ قولوا لها أن تنهض من فراش فجورها ، فراش وطء المحرمات حتى تستطيع أن تسمع صوت الذى يهيىء طريق السيد ، وحتى تندم على خطاياها وتكفر عن جرائرها إنها لن تكفر أبداً ، وستظل غارقة فى الاثم والفواحش ، ولكن قولوا لها برغم ذلك أن تأتى لأن السيد يحمل فى يده ميزانه .

سالوما — هذا فظيع ... فظيع .

السورى الشاب — أتوسل إليك أن تغادرى هذا المكان .

سالوما — العينان على الأخص مخوفتان ، ما أفظعهما ! كأنهما ثقبان أسودان تركتهما مشاعل على ديباجة بيضاء إنهما كالكهوف السوداء التى تسكنها الأفاعي ، كهوف مصر السوداء التى تجد منها الأفاعى ملجأ وملاذا ، ما أشبههما بحيرات سوداء ، قد بعثت فيها الاضطراب أقمار عجيبة مستبهمة : أتظن أنه سيتكلم بعد ذلك ؟

السورى الشاب — غادرى هذا المكان أيتها الأميرة ، رجائى إليك أن تعدلي عن البقاء هنا

سالوما — ما أشد هزاله : إنه كتمثال نحيل من العاج ... كأنى به خيال من الفضة . أعتقد أنه فى طهره كالقمر . ما أشبهه بشعاع من الفضة ؟ لابد أن يكون جسده شديد البرودة كالعاج ... أريد أن أراه من كثب .

السورى الشاب — أيتها الأميرة : أيتها الأميرة

يوحنا — من هذه المرأة التى تنظر إلىّ ؟ لا أريد أن توجه إلىّ بصرها ... لماذا تحدق فىّ بعينيها الذهبيتين بين جفونها الموجة بلون الذهب ؟ إنى لا أعرف من هى ، ولا أريد أن أعرف ، قولوا لها أن تذهب ، فليست هى التى أريد أن أكلمها .

سالومـا — إنى سالومـا بنت هيرودية ، أميرة يهودية .

يوحنا — إلى الوراء يا بنت بابل ! لا تقتربى ممن اختاره السيد . لقد ملأت أمك أرض الكروم بالآثام ، وبلغت صرخة خطاياها آذان السماء

سالومـا — تكلم يا يوحنا ، فان صوتك أثملنى

السورى الشاب — مولاتى ! مولاتى ! مولاتى

سالومـا — تكلم ... تكلم يا يوحنا وحدثنى عما ينبغى أن أفعل .

يوحنا — لا تقتربى منى يا بنت سدوم ولكن ضعى على وجهك حجاباً وعلى رأسك تراباً ثم اذهبى إلى الصحراء وابحثى فيها عن « ابن الانسان » (أى المسيح عليه السلام)

سالومـا — من عساه يكون ابن الانسان ؟ أهو جميل مثلك يا يوحنا ؟

يوحنا — إلى الوراء ! إلى الوراء ! إنى أسمع فى القصر ملاك الموت يضرب بجناحيه الهواء

السورى الشاب — أيتها الأميرة ، أتوسل إليك أن تعودى إلى الوليمة

يوحنا — يا ملاك الله ماذا تفعل هنا بسلاحك الرهيب ؟ عمن تبحث فى هذا القصر الملوث ؟ ... لم تحن بعد ساعة ذلك الذى سيموت فى ثياب فضية

سالومـا — يوحنا !

يوحنا — من المتكلم ؟

سالومـا — يوحنا ! إني لمشغوفة بجسمك ! جسمك أبيض كزنبقة المرج لم يقربها بشر . إنه أبيض كالثلوج التى تستطيب الرقاد فوق الجبال ، كالثلوج التى تهبط على جبال يهودية ثم تسقط فى الأودية على مهل ناصعة ... الورود فى حديقة ملك العرب ليست فى مثل بياض جسمك ... لا الورود فى حديقة ملك العرب ولا أقدام الفجر التى ترقص على أوراق الشجر ، ولا صدر القمر حين يرقد على سطح البحر ... لا شىء فى العالم يماثل جسمك فى بياضه ... دعنى ألمسه

يوحنا — إلى الوراء يا بنت بابل ! إن الشر لم يدخل العالم إلا بوساطة المرأة . لا تكلمينى . لا أريد أن أسمع إلى قولك ... إنى لا أنصت إلا لأقوال السيد

سلومـا — جسمك بشع . إنه كجسم المريض بالجذام . إنه كجدار من الجص مرت به الصلال والأفاعى ... كجدار من الجص اتخذت منه العقارب أجحارا . إنه كقبر أبيض الجدران زاخر بأشياء عفنة كريهة ... جسمك بغيض ما أبشعه ! شعرك هو الذى يستهوينى يا يوحنا ... شعرك كعناقيد من عنب ، كعناقيد من عنب أسود فيها جمال وفيها سحر مستبد ... إنه كأشجار الأرز اللبنانية الكبيرة التى تبسط ظلها على السباع واللصوص الذين يريدون الاختباء أثناء النهار ... الليالى الطويلة السوداء المحرومة من القمر ، ليست في سواد شعرك ... السكون المقيم فى الغابات لا يماثل فى سواده شعرك ... ليس فى العالم شىء فى مثل سواد شعرك ... دعنى ألمسه ...

يوحنا — إلى الوراء يا بنت سلوم ! لا تلمسينى ! لا يجوز أن يدنس معبد السيد

سلومـا — شعرك بشع . إنه مغطى بالوحل والتراب ، كأنه إكليل من الشوك وضع على جبينك كأنه ذنب حية سوداء يهتز حول عنقك . إنى لا أحب شعرك ... ثغرك هو الذي يستهوينى ويملك علىّ حسى يا يوحنا . ثغرك كشريط قرمزى على برج

من العاج . إنه كحبة رمان شقت بسكين من العاج . الجلنار الذى ينبت يانعاً فى حدائق « تير » الغناء أشد حمرة من الورود ولكنه لايبلغ فى لونه ثغرك . الصرخات الحمراء ، صرخات الطبول التى تعلن قدوم الملوك وتبعث الرعب فى قلوب الأعداء ، أقل حمرة من ثغرك . إنه أشد حمرة من أقدام الذين يهرسون النبيذ فى المعاصر . إنه أكثر حمرة من أرجل اليمام الذى يسكن المعابد وتغذيه القسس . إنه أكثر حمرة من أقدام الإنسان العائد من غابة موحشة بعد أن قتل فيها أسداً ورأى ثوراً فى لون الذهب . ثغرك كغصن من المرجان يجده الصيادون فى غيش البحر ويحفظونه هدية للملوك : انه كقوس ملك الفرس ، عليه نقوش قرمزية وله قرنان من المرجان فى طرفيه ... لاشىء فى الدنيا يبلغ فى حمرته ثغرك ... دعنى أقبله

يوحنا — كلا يا بنت بابل ! يا بنت سدوم ! لن يحصل ذلك أبداً !

سالوما — سأقبل ثغرك يا يوحنا ... سأقبله

السورى الشاب — أيتها الأميرة ، ياطاقة من الزهر ، يا يمامة اليمام ، لاتنظري إلى هذا الرجل ! لاتقولى له مثل هذه الأشياء ! يؤلمنى سماعها جد الألم ! أيتها الأميرة ، أيتها الأميرة ، لاتنطق بمثل هذه الأشياء

سالوما — سأقبل ثغرك يا يوحنا

السورى الشاب — آه !

(يقتل نفسه ويسقط على الأرض بين سالوما ويوحنا)

غلام هيرودية — قتل السورى الشاب نفسه ! قضى على نفسه رئيس الحرس الشاب ! سفح دمه الرجل الذى كان لى صديقاً ! لقد أهديت إليه علبة صغيرة من العطر وأقراطاً من الفضة ، والآن أراه أمامى قتيلا ! آه ! ألم يتنبأ بوقوع مصيبة ؟ ! ولقد توقعت حدوثها أيضاً ! عرفت أن القمر كان يبحث عن ميت ، ولكنى لم أدرك أنه كان يبحث عن السوري الشاب . آه ! لماذا لم أخفه عن القمر ؟ لو أخفيته في كهف لعجز القمر عن أن يراه !

الجندى الأول — أيتها الأميرة ، لقد قتل رئيس الحرس الشاب نفسه منذ لحظة

سالوما — دعني أقبل ثغرك يايوحنا

يوحنا — ألم تشعرى بالخوف يابنت هيرودية ؟ ألم أقل إنى سمعت فى القصر ملاك الموت يضرب بجناحيه الهواء ؟ ألم يأت الملاك كما قلت ؟

سالوما — دعنى أقبل ثغرك

يوحنا — يابنت الزنا والفجور ، ليس في الوجود إلا رجل واحد يستطيع إنقاذك ، وهو الذي حدثتك عنه . إذهبي وجدي فى البحث عنه . إنه فى بحر الجليل على ظهر فلك يتحدث إلى تلاميذه . إركعى على ساحل البحر وارفعي صوتك منادية باسمه . وحين يلبى نداءك ، كما يفعل مع جميع الذين ينادونه ، اسجدي عند قدميه واضرعى إليه أن يغفر لك خطاياك

سالوما — دعنى أقبل ثغرك

يوحنا — عليك اللعنة يابنت أم تستحل المحرمات ... عليك اللعنة !

سالوما — سأقبل ثغرك يايوحنا

يوحنا — لا أريد أن أراك . لن أنظر إليك . إنك ملعونة ، ملعونة ياسالوما !

(يعود إلى الصهريج)

سالوما — لأقبلن ثغرك يايوحنا ... لأقبلنه

الجندى الأول — ينبغى نقل الجثة إلى مكان آخر . الأمير لايحب أن يرى الجثث ... لايحب أن يرى إلا جثث الذين يقتلهم بيده

غلام هيرودية — كان لى أخاً وأعز علىّ من أخ . لقد أعطيته علبة صغيرة تشتمل على أنواع من العطر ، وخاتماً من عقيق كان يحمله دائماً فى أصبعه ... كنا نستريض فى الماء على شاطىء النهر بين أشجار اللوز ، وكان يحدثنى كثيراً عن بلاده فى صوت منخفض كعادته فى كل حين . آه ! رنين صوته كان يشبه صوت الناي ، وكان شديد الكلف أيضاً باطالة النظر إلى صورته في صفحة النهر ، وكثيراً ما أخذت عليه هذا الكلف

الجندى الثاني — أنت محق . ينبغى إخفاء الجثة حتى لايراها الأمير

الجندى الأول — لن يأتي الأمير ... لن يخرج إلى الشرف ... في نفسه من النبي خوف شديد

(يدخل هيرودس وهيرودية وجميع أفراد البطانة)

هيرودس — أين سالوما ؟ أين الأميرة ؟ لماذا لم تعد إلى الوليمة كما طلبت منها ؟ آه : ها هى ذى !

هيرودية — ينبغى ألا تنظر إليها . إنك تحدق فيها دائماً :

هيرودس — ما أغرب شكل القمر هذا المساء : ألا ترين أنه غريب إلى حد بعيد ؟ لكأنه امرأة مضطربة الأعصاب تبحث عن عشاق فى كل مكان : إنه عار أيضاً لايستره شيء . السحب تحاول أن تلقى عليه من نفسها رداء ، ولكنه يرفض ويأبى وهو يهتز خلال السحب كامرأة أخذتها نشوة الخمر ... أعتقد أنه يبحث عن عشاق ... ألا ترين أنه يهتز كامرأة لعبت برأسها الخمر ؟ انه يشبه امرأة مهتاجة الحس مضطربة الأعصاب ، أليس كذلك ؟

هيرودية — كلا . القمر يشبه القمر ، هذا كل شيء ... فلندخل ... ليس لديك من عمل هنا

هيرودس — سأبقى . ياغلام ، ضع بعضاً من الطنافس هنا ، وأشعل المشاعل ثم أحضر الموائد العاجية والفضية . الهواء هنا عذب جميل ، وسأشرب نبيذاً مرة أخرى مع ضيوفى لأن سفراء قيصر يستحقون كل حفاوة وإجلال

هيرودية — ليس من أجلهم تريد البقاء فى هذا المكان

هيرودس — نعم الهواء عذب جميل . تعالي يا هيرودية ، فان ضيوفنا فى انتظارنا ... آه ! انزلقت قدماى ! انزلقت على الدم ! هذا نذير شر ! نذير شر مستطير ! لماذا أجد هنا دما ؟ وهذه الجثة ؟ لمن هى ؟ أتظنون أنى كملك مصر الذى لايقيم وليمة من غير أن يعرض جثة على ضيوفه ؟ تكلموا ، من عساه يكون صاحب هذه الجثة ؟ لا أريد أن أراها

الجندى الأول — إنه رئيسنا يا مولاى الشاب السورى الذى رفعته إلى هذه المكانة منذ ثلاثة أيام فقط .

هيرودس — لم يصدر عنى أى أمر بقتله .

الجندى الثانى — قتل نفسه يا مولاى

هيرودس — لماذا ؟ قد جعلته رئيساً !

الجندى الثانى — لا ندرى يا مولاى . ولكنه سفك دمه بيده .

هيرودس — هذا عمل يبدو غريباً . كنت أظن أن حكماء الرومان فقط هم الذين يقتلون أنفسهم بأيديهم ، أليس كذلك يا تيجالان أن الحكماء فى روما يقتلون أنفسهم ؟

تيجالان — بعضهم يفعل ذلك ، وهم الرواقيون إنهم قوم فيهم غلظة وخشونة ، إلى شذوذ وسخف كبير ... إني لأجدهم ذوى سخف شديد .

هيرودس — وأنا أيضاً ، من السخف أن يقتل الانسان نفسه .

تيجالان — الناس فى روما يسخرون منهم ويضحكون ، وقد وضع الإمبراطور فى شأنهم شعراً لاذع التهكم يرويه الناس فى كل مكان .

هيرودس — آه ! وضع فى شأنهم شعراً لاذع التهكم ؟ قيصر رجل عظيم يستدر غاية الاعجاب . إنه قادر على كل شيء ... غريب أن يقتل السورى الشاب نفسه . ما أشد أسفى ! نعم ، آسف لموته جد الأسف ، لأنه كان جميلا ... كان بديع التكوين رائع القسمات . وكان له عينان ناعستان كسيرتان وأذكر أنى رأيته ينظر إلى سالوما بطرف ناعس كسير ، حقاً إنى أجد أنه أطال إليها النظر .

هيرودية — من الناس غيره من يطيلون إليها النظر .

هيرودس — كان أبوه ملكا فطردته من بلاده وكانت أمه ملكة فجعلت منها يا هيرودية جارية ذليلة وكذلك كان بيننا كضيف . ومن أجل هذا جعلته رئيساً للحرس . آسف لموته جد الأسف ... ولكن لماذا تركتم الجثة في هذا المكان ؟ ينبغى نقلها إلى جهة أخرى . لا أريد أن أراها ... احملوها ... (تحمل الجثة) الجو بارد هنا ، والرياح شديدة . ألا ترين أن المكان كثير الرياح ؟

هيرودية — كلا ليس فى المكان رياح .

هيرودس — بلى ، الحق ما أقول ... أسمع فى الجو صوتاً كصفق أجنحة ، كصفق أجنحة هائلة ألا تسمعين ؟

هيرودية — لا أسمع شيئاً .

هيرودس — لم أعد أسمعه ، ولكنى سمعته . كان صوت الهواء من غير شك . لقد سكت ... ولكن لا ... إني أسمعه مرة أخرى ... ألا تسمعين ؟ إنه حقاً صوت أجنحة تضرب الهواء

هيرودية — أقول لك لا حقيقة لما تتوهم . أنت مريض . فلندخل

هيرودس — لست مريضاً . ابنتك هى المريضة ... عليها سمة المرض . لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد

هيرودية — قلت لك لاتنظر إليها

هيرودس — صبوا النبيذ (يحضر الخدم نبيذاً) سالوما ، تعالى واشربى معى قليلا من النبيذ . عندى نبيذ عذب لذيذ الطعم ، أرسله إلى قيصر نفسه . اغمسى في الكأس شفتيك الصغيرتين القرمزيتين ثم دعينى أفرغها في جوفى حتى الثمالة

سالوما — ليس بى ظمأ أيها الأمير

هيرودس — أتسمعين كيف ترد علىّ ابنتك ؟

هيرودية — أجد أنها على حق . لماذا تنظر إليها دائماً ؟

هيرودس — أحضروا ألوان الفاكهة (يحضر الخدم الفاكهة) تعالى كلي معى فاكهة ، من أحب الأشياء إلى نفسى أن أرى في الفاكهة أثر أسنانك الصغيرة . أقضمى جزءاً صغيراً من هذه الفاكهة ، وما يتبقى منها سألتهمه التهاماً

سالوما — لا أشعر بالجوع أيها الأمير

هيرودس — (إلى هيرودية) أنظرى كيف ربيت ابنتك !

هيرودية — ابنتى وأنا من سلالة ملكية . أما

أنت فإن جدك كان يرعى الإبل ؛ وكان فضلا عن ذلك لصاً كما تعلم !

هيرودس — تكذبين !

هيرودية — تعرف جيداً أنى قلت الحقيقة

هيرودس — سالوما ، تعالى واجلسى على مقربة منى . سأعطيك عرش أمك

سالوما — لست متعبة أيها الأمير

هيرودية — إنك ترى جيداً رأيها فيك

هيرودس — أحضروا ... ماذا أريد ؟ لاأدرى آه ! آه ! أذكر ...

صوت يوحنا — حان الوقت ! يقول السيد لقدوقع ماتنبأت به . هاهوذا اليوم الذى تكلمت عنه

هيرودية — أسكتوه . لا أريد أن أسمع صوته . هذا الرجل يقذفنى دائماً بالسباب

هيرودس — لم يقل شيئاً ضدك . إنه نبى عظيم

هيرودية — لا أومن بالأنبياء . هل يستطيع إنسان أن يعلم الغيب ؟ هذا أمر لا يعلمه أحد . إنه يكيل الشتائم لى فى كل حين ، ولكني أعتقد أنك تخافه ... أعرف جيداً أنه يبعث فى نفسك الخوف

هيرودس — إني لاأخافه ولا أخاف أحداً فى الحياة

هيرودية — بلى إنك تخافه . وإذا كنت لاتخافه فلماذا لا نسلمه لليهود الذى مضى عليهم ستة أشهر وهم يلحون فى طلبه منك ؟

يهودى — فى الحق يامولاى ، يحسن أن تسلمه إلينا

هيرودس — كف عن الكلام فى هذا الموضوع فقد أعطيتك جوابى قبل الآن ، وهو لا يتغير ، لا أريد أن أسلمه إليكم . إنه رجل رأى الله

يهودى — هذا أمر مستحيل لا يثبت عليه العقل من بعد إلياس النبي ، لم ير الله أحد . إنه آخر إنسان رأى الله . فى وقتنا هذا لا يظهر الله نفسه ، إنه يستخفى ، ومن أجل ذلك تتوالى على البلاد المصائب والملمات

يهودى آخر — فى الواقع لا يدري أحد أرأى النبي إلياس الله حقاً أم لا ؟ . إنه على الأرجح رأى ظل الله فقط

يهودى ثالث — الله لا يستخفى مطلقاً . إنه يظهر نفسه دائماً فى كل شيء . الله فى الشر وفى الخير على السواء

يهودى رابع — ينبغي ألا تقول ذلك . هذه فكرة شديدة الخطر ، فكرة جاءت من مدارس الإسكندرية حيث تعلم الفلسفة الإغريقية ... والاغريق قوم ذوو رقة ، حتى إنهم يعرضون عن الختان وينفرون منه

يهودى خامس — الإنسان عاجز عن أن يعرف كيف يعمل الله ويدبر لأن أساليبه شديدة الغموض قد يكون ما نسميه شراً هو الخير ، وما نسميه خيراً هو الشر . لا يستطيع الانسان أن يعرف شيئاً ؛ ومن الضرورى الذى لا مفر منه أن نخضع لكل شيء . الله قوى إلى أبعد حد ، وهو يحطم الضعفاء والأقوياء فى وقت واحد . إنه لا يهتم لأحد مطلقاً

اليهودى الأول — هذه حقيقة لا ريب فيها . الله جبار . إنه يسحق الضعفاء والأقوياء كما يسحق القمح بين شقي الرحى ، ولكن هذا الرجل لم ير الله ؛ لم يره أحد من بعد إلياس النبى

هيرودية — أطلب إليهم أن يكفوا عن الحديث ؛ إنهم يغمزون على الملل

هيرودس — ولكني سمعت بعض الناس يقولون إن يوحنا نفسه هو نبيكم إلياس

يهودى — هذا لا يمكن أن يكون . لقد مضى على إلياس النبي أكثر من ثلثمائة سنة

هيرودس — بعض الناس يقولون إنه إلياس النبي ...

ناصرى — (نسبة إلى الناصرة) أعتقد أنه إلياس النبي

يهودى — كلا

صوت يوحنا — جاء اليوم ، يوم السيد ، وإني لأسمع فوق الجبال وقع قدمى من سيكون منقذ العالم

هيرودس — ما معنى هذا ؟ منقذ العالم ؟

تيجالان — هذا لقب يتخذه قيصر لنفسه

هيرودس — ولكن قيصر لن يأتى إلى يهودية. تسلمت بالأمس رسائل من روما ، وليس فيها ما يدل على عزم قيصر . وأنت يا تيجالان لقد كنت فى روما ومكثت بها الشتاء كله ، ألم تسمع شيئاً عن هذا الأمر ؟

تيجالان — حقاً لم أسمع شيئاً أيها الأمير . إنى أفسر اللقب فقط ، إنه أحد ألقاب قيصر

هيرودس — إنه لا يستطيع المجيء . قيصر مصاب بداء النقرس ، ويقال إن له ساقاً فيل نتيجة المرض ، فكيف يقوى على السفر ؟ يضاف إلى هذا السبب أسباب أخرى مأتاها أعباء الدولة وسياستها والمعروف أن من يغادر روما ويتغيب عنها يفقدها . لن يأتى قيصر ولكنه صاحب الأمر على كل حال ، سيأتى إذا شاء ، ولكن يغلب على ظني أنه لن يأتى

الناصرى — ليس عن قيصر تكلم النبى ، أيها الأمير

هيرودس — ليس عن قيصر ؟

الناصرى — كلا أيها الأمير

هيرودس — عمن تكلم إذن ؟

الناصرى — عن المسيح الذى ظهر

يهودي — لم يظهر المسيح

الناصرى — جاء المسيح ، وهو يأتى بالمعجزات فى كل مكان

هيرودية — أوه ! أوه ! المعجزات ! إنى لا أومن بالمعجزات . لقد رأيت منها أكثر مما ينبغي ! (إلى غلامها) مروحتى يا غلام

الناصرى — هذا الرجل يأتى بالمعجزات الحقيقية ، فهو مثلا قد أحال الماء إلى نبيذ في عرس أقيم بمدينة صغيرة من مدن الجليل . وقد حمل إلىّ هذا الخبر قوم رأوا بأعينهم ما حدث فى ذلك العرس ثم رأى أيضاً مريضين بالجذام جالسين أمام باب « كفر ناحوم » فلمسهما بيده فزال عنهما المرض

ناصرى آخر — كلا ، الشخصان اللذان شفاهما فى كفر ناحوم لم يكونا مريضين بالجذام ، ولكنهما كانا ضريرين

الناصرى الأول — أخطأت الصواب . كانا مجذومين ، وقد رد البصر أيضاً على كثير من العمى ، ورؤى على جبل يتحدث إلى ملائكة

صدوقى — ليس للملائكة وجود

فريسى — للملائكة كائنة ، ولكن لا أعتقد أن هذا الرجل تحدث إليها

الناصرى الأول — رآه كثير من السابلة يتحدث إلى ملائكة

صدوقى — ليس إلى ملائكة

هيرودية — ما أشد ضيق بهؤلاء الناس ! إنهم

أغبياء كالبهائم ! لا فرق بينهم وبين الأنعام !
(إلى غلامها) أين مروحتى ؟ (يعطيها الغلام المروحة)
أنت ذاهل تحلم ، وهذا لا يجوز . الحالمون مرضى
يا غلام (تضربه بالمروحة فى رفق)

الناصري الآخر — وهناك أيضاً معجزة فتاة بيروس

الناصرى الأول — نعم هذه حقيقة لا يمكن إنكارها

هيرودية — الجند يستبد بهؤلاء الناس : لقد أطالوا النظر إلى القمر . قل لهم أن يكفوا عن الثرثرة

هيرودس — وما هى معجزة فتاة بيروس ؟

الناصرى الأول — كانت ميتة فأحياها

هيرودس — هل يحيي الموتى ؟

الناصرى الأول — نعم أيها الأمير ، إنه يحيي الموتى .

هيرودس — لا أريد أن يفعل ذلك . أحرم عليه هذا العمل . لا أبيح لأحداً أن يحيي الموتى . ينبغى البحث عن هذا الرجل وإخباره أنى لا أسمح له أن يحيي الموتى . أين هو الآن ؟

الناصرى الآخر — إنه فى كل مكان أيها الأمير ولكن من العسير العثور عليه .

الناصرى الأول — يقال إنه الآن فى السامرة

يهودى — من الجلي أنه ليس بالمسيح إذا كان فى السامرة ، لايمكن أن يأتى المسيح للسامريين لأن عليهم اللعنة ، إنهم لا يهدون إلى المعبد القرابين

الناصرى الآخر — غادر السامرة منذ أيام ، واعتقادى الشخصى أنه الآن فى ربض من أرباض أورشليم .

الناصرى الأول — كلا . إنه ليس حيث تقول إنى قدم من أورشليم ، ولم يسمع عنه حديث منذ شهرين .

هيرودس — الخلاصة أن هذا الجدال ليس بذى شأن . ولكن ينبغى العثور على هذا الرجل وإخباره من قبلى أنى أحرم عليه إحياء الموتى . إحالة الماء إلى نبيذ وشفاء المجذومين والعمى ، هذه أمور يستطيع أن يقوم بها إذا شاء . وفى الحق أن شفاء المجذومين عمل كله خير ، ولكن لا أسمح له أن يحيي الموتى ... فظيع أن تعود الموتى إلى الحياة !

صوت يوحنا — المستهترة الملوثة ! آه ! البغى آه ! بنت بابل ذات العينين الذهبيتين والجفون المموهة بلون الذهب : هذا ما يقول السيد . أثيروا عليها عدداً كبيراً من الناس . فليرجمها الشعب بالأحجار

هيرودية — أسكتوه !

صوت يوحنا — فليطعنها رؤساء الجند بسيوفهم وليسحقوها تحت النعال .

هيرودية — هذه بذاءة لا تحتمل !

صوت يوحنا — كذلك سأمحو من الأرض الجرائم ، وستتعلم النساء جميعاً ألا تحاكى آثام هذه المرأة .

هيرودية — أسامع أنت إلى ما يقذفنى به ؟ وهل تتركه يسب زوجك ؟

هيرودس — ولكنه لم ينطق باسمك .

هيرودية — وما قيمة ذلك ؟ إنك تعرف جيداً أن سبابه موجه إلىّ ، وأنا زوجك أليس كذلك ؟

هيرودس — أنت زوجى يا هيرودية العزيزة ، وقد بدأت سلسلة حيالك بأن كنت زوج أخى

هيرودية — أنت الذي اقتلعتنى من بين ذراعيه اقتلاعاً .

هيرودس — في الحق أنى كنت الأقوى ... ولكن دعينا من هذا الموضوع . لا أريد أن أطرقه ومن أجله نطق النبي بكلمات هائلة ، وقد تحدث من أجله مصيبة . فلنتجنب الحديث في هذا الشأن ياهيرودية النبيلة ، لقد نسينا ضيوفنا ، صبي لي النبيذ يا أعز الناس علىّ . املئى الأقداح الكبيرة الفضية والزجاجية بالنبيذ . سأشرب نخب قيصر وصحته . هنا فئة من الرومان ، وينبغى أن نشرب نخب صحة قيصر .

الجميع — قيصر ! قيصر !

هيرودس — إنك لاتلاحظين مبلغ اصفرار ابنتك

هيرودية — وما ذا يهمك ؟

هيرودس — لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد

هيرودية — ينبغى ألا تنظر إليها

صوت يوحنا — فى ذلك اليوم ، ستصبح الشمس سوداء ككيس من شعر فاحم ، والقمر أحمر كالدم ، وستسقط نجوم السماء على الأرض كما يسقط التين الأخضر من الشجرة ، ويملك الرعب قلوب الملوك

هيرودية — آه : آه ! ما أشد شوقى إلى رؤية ذلك اليوم الذى يتحدث عنه ، حين يصبح القمر كالدم وتسقط النجوم على الأرض كالتين الأخضر ! هذا النبي يتكلم كرجل ثمل ... ولكنى لا أستطيع احتمال صوته . إنى أكره صوته وأمقته . مره بالسكوت

هيرودس — كلا . إنى لم أفهم ما قال ، ولكن ربما يكون قوله كاشفاً عن الغيب

هيرودية — لا أومن بهذا الهراء الذى يسمونه كشفاً عن الغيب . إنه يتكلم كرجل لعبت بعقله الخمر

هيرودس — ربما يكون ثملاً بخمر الله

هيرودية — ما نوع خمر الله هذا ؟ من أى كرم استخرجت ؟ في أى معصرة توجد ؟

هيرودس — (نظره عالق بسالوما لا يفارقها) تيجالان ، حينما كنت في روما أخيراً ألم يتحدث إليك الامبراطور فى شأن ... ... ؟

تيجالان — فى أى شأن أيها الأمير ؟

هيرودس — فى أى شان ؟ آه ! لقد وجهت إليك سؤالا ... أليس كذلك ؟ نسيت ما كنت أريد معرفته

هيرودية — ما تزال تنظر إلى ابنتى . لا يجوز أن تنظر اليها . سبق أن قلت لك ذلك

هيرودس — إنك لا تقولين شيئاً آخر

هيرودية — وأكرر ما أقول

هيرودس — وإصلاح العبد الذى كثر الحديث عنه ؟ هل فى النية إنقاذ شيء ؟ يقال إن برقع المحراب قد فقد ، أليس كذلك ؟

هيرودية — أنت الذى أخذه . مالى أراك ذاهلاً مضطرباً فى سبل الحديث ؟! ألا أريد البقاء هنا ... هلم ندخل

هيرودس — سالوما أرقصى أمام عينى إرضاء لى

هيرودية — لا أريد أن ترقص ابنتى

سالوما — لا أشعر بأقل ميل إلى الرقص أيها الأمير

هيرودس — سالوما يا بنت هيرودية ، أرقصى إرضاء لى

هيرودية — دعها ولا تكدر هدوءها

هيرودس — آمرك أن ترقصى يا سالوما

سالوما — لن أرقص أيها الأمير

هيرودية — (ضاحكة) أرأيت كيف تطيعك ؟ !

هيرودس — وماذا يهمني إن رقصت أو رفضت؟ هذا أمر لا قيمة له عندي . إني سعيد في هذا المساء.. سعيد إلى حد كبير ... لم أكن قط سعيداً إلى مثل هذه الدرجة

الجندي الأول — يبدو الاكتئاب على الأمير ألا ترى أنه غير مبتهج ؟

الجندي الثاني — عليه أمارات الهم والاكتئاب

هيرودس — ولماذا لا أكون سعيداً ؟ قيصر ، وهو سيد العالم ، سيد كل شيء ، يحبني كثيراً . وقد أرسل إليّ في الأيام الأخيرة هدايا عظيمة القيمة ووعدني فضلا عن ذلك بأن يدعو إلى روما ملك كابادوس عدوي الألد . ربما يصلبه في روما . قيصر يستطيع أن يفعل كل ما يريد . إنه سيد العالم بلا جدال . من هذا ترون أن لي الحق في أن أكون سعيداً . لا شيء في العالم يستطيع أن يكدر سروري أو يفسد عليّ ابتهاجي

صوت يوحنا — سيكون جالساً على عرشه في ثياب أرجوانية وقرمزية ، وسيحمل في يده إناء من ذهب مملوءا بضروب تجديفه . سيضربه ملاك السيد ، وسيكون للديدان طعاما

هيرودية — أسمعت لما يقول عنك ؟ يقول إنك ستكون طعاماً للديدان

هيرودس — لم يتكلم عني . إنه لا ينطق بشيء ضدي ألبتة . إنه يعني بقوله ملك كابادوس عدوي ، وهو الذي سيكون طعاماً للديدان ، ولست أنا أمير يهودية . لم يقل النبي شيئاً ضدي قط ، سوى أني أخطأت بالزواج من امرأة أخي . ربما يكون على حق . والحقيقة التي لا تقبل الشك أنك عاقر

هيرودية — عاقر ! وتقول هذا ، أنت الذي لا يكف عن النظر إلى ابنتي ، أنت الذي أراد أن ترقص ابنتي ابتغاء سروره ولذته ؟ ! من السخف أن تقول هذا . لي عقب تراه أمام عينيك ، أما أنت فلم تعقب قط ، حتى ولا من أحدى جواريك ، أنت المصاب بالعقم ولست أنا

هيرودس — أسكتي . أقول إنك عاقر . لم تلدي لي ولداً ، ويقول النبي إن زواجنا ليس زواجا صحيحاً . يقول إنه زواج محرم ، زواج سينتج الويلات والمصائب ... أخشى أن يكون على حق فيما يقول . أعتقد أنه على حق . ولكن ليس هذا وقت الكلام في مثل هذه الأشياء . أريد أن أكون سعيداً في هذه اللحظة . وفي الواقع أني سعيد ، سعيد إلى أبعد حدود السعادة . لا شيء يعوزني

هيرودية — يسرني أن أراك صافي المزاج في هذا المساء . ليس من طبعك هذا المزاج الجميل . ولكن الليل قد أمعن في سبيله ، فلم ندخل . أنسيت أننا سنخرج جميعاً إلى الصيد عند شروق الشمس ؟ ينبغي الاحتفاء بسفراء قيصر جهد المستطاع ، أليس كذلك ؟

الجندي الثاني — ما أشد اكتئاب الأمير !

الجندي الأول — نعم إنه مكتئب

هيرودس — سالوما ، سالوما ، ارقصي أمام عيني . أضرع إليك أن ترقصي . إني حزين هذا المساء . نعم حزين جداً هذا المساء . لما وطئت هذا المكان انزلقت قدماي في الدم ، وهذا نذير شر . وسمعت ، وأنا واثق بأني سمعت في الجو صفق أجنحة هائلة ، لا أدري ما معنى ما سمعت ... إني حزين هذا المساء ، ومن أجل ذلك أريد أن ترقصي أمام عيني

أرقصى إرضاء لي . سالوما ، أضرع إليك . إذا رقصت لى ، فإن فى استطاعتك أن تسأليني كل ما ترغب فيه نفسك ، وسأعطيك كل ما تطلبين ، ولو كان نصف ملكى

سالوما — (تنهض) ستعطيني كل ما أطلب أيها الأمير ؟

هيرودية — لاترقصى يا ابنتى

هيرودس — كل شيء ، ولو طلبت نصف ملكي

سالوما — أتقسم أيها الأمير ؟

هيرودس — أقسم يا سالوما

هيرودية — يا ابنتى لاترقصي

سالوما — بأي شيء تقسم أيها الأمير ؟

هيرودس — بحياتى وتاجى وآلهتى ، سأعطيك كل ماتطلبين ولو كان نصف ملكي ، إذا رقصت لى أوه ! سالوما ! سالوما ! أسعديني بالرقص أمام عينى

سالوما — لقد أقسمت أيها الأمير

هيرودس — أقسمت ياسالوما

سالوما — كل ماأطلب ولو كان نصف ملكك ؟

هيرودية — لاترقصي يا ابنتي

هيرودس — ولو كان نصف ملكى . ستكونين ملكة رائعة الجمال خلابة المنظر إذا سرك أن تطلبى نصف ملكي . ألا ترين ياهيرودية أنها تكون رائعة الجمال إذا غدت ملكة ؟ آه ! الجو بارد هنا ! الجو شديد البرودة ، وأسمع ... لماذا أسمع فى الجو صفق أجنحة ؟ أوه ! يخيل إلىّ أن طائراً هائلا أسود اللون يحلق فوق الشرف ! لماذا لا أستطيع رؤية هذا الطائر ؟ صفق جناحيه رهيب مخيف ، والهواء الذي يأتي من جناحيه رهيب مرعب . إنه هواء بارد ... ولكن لا ... ليس الجو بارداً ، بل هو على النقيض من ذلك شديد الحرارة . أختنق من شدة الحر . صبي على يديّ ماء . أعطني ثلجاً آكله ، حلى عباءتى . أسرعى ، أسرعى ، حلى عباءتى ... كلا ، دعيها كما هى . إنه تاجى الذى يؤلمنى ، تاج الورد هذا . لكأن هذه الورود قد خلقت من نار . إنها أحرقت جبيني (ينتزع التاج من رأسه ويلقيه على المائدة) آه ! الآن أتنفس . ما أشد حمرة هذه الورود ! كأنها نقط من الدم على غطاء المائدة الأبيض . ليس هذا شيئاً مذكوراً . ينبغى ألا يرى الانسان رموزاً فى كل شيء يقع عليه بصره حتى لاتكون الحياة مستحيلة الاحتمال . الأفضل أن يقال إن نقط الدم جميلة كالورود . أفضل كثيراً أن يقال ذلك . ولكن دعونا من هذا الموضوع ... الآن ، إنى سعيد إلى أقصى حد . لى الحق فى أن أكون سعيداً أليس كذلك ؟ سترقص ابنتك إرضاء لى . سترقصين لى ياسالوما ، أفى ذلك شك ؛ لقد وعدت بأن ترقصى لى

هيرودية — لا أريد أن ترقص

سالوما — سأرقص لك أيها الأمير

هيرودس — أتسمعين إلى قول ابنتك ؟ سترقص لى . أنت على صواب ياسالوما فى إجابة طلبي والرقص أمام عينى . وفى نهاية الرقص لاتنسى أن تسأليني كل ماتصبو إليه نفسك . كل ما ترغبين فيه ، سأعطيك إياه ، ولو كان نصف ملكى . لقد أقسمت ، أليس كذلك ؟

سالوما — أقسمت إلى أيها الأمير

هيرودس — ولم أحلف قط وعدى . لست من هؤلاء الذين ينقضون كلمتهم ويخلون بعهودهم . لا أعرف كيف أكذب . إنى عبد كلمتي ، وهي كلمة

ملك . ملك كابادوس يكذب دائماً ، ولكنه ليس ملكا حقاً . إنه جبان ضعيف الخلق ، ودليلي على ما أقول أن لى عنده مالا لا يريد أن يبرىء منه ذمته ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل أمعن فى الصفاقة وأهان سفرائى ونطق بأقوال جارحة مريرة . ولكن قيصر سيصلبه فى روما حين يذهب إليها الجبان . إنى واثق بأنه سيصلبه ... إيه ! سالوما ، أفى انتظار شيء أنت ؟

سالوما — أنتظر جواريّ يحضرن إليّ الطيب والبراقع السبعة ، ويخلعن نعلى (الجوارى يحضرن الطيب والبراقع السبعة ويخلعن نعلى سالوما)

هيرودس — آه : سترقصين عارية القدمين ؟ هذا حسن ، جميل . ستكون قدماك كيمامتين ناصعتي البياض . إنهما أشبه شيء بزهرتين صغيرتين ناصعتى البياض ترقصان على غصن شجرة ... آه ! لا ... سترقص على الدم ! على الأرض دم . لا أريد أن ترقص فى الدم . إنها لو فعلت لكان ذلك نذير شر وشؤم

هيرودية — وماذا يهمك من رقصها على الدم؟ لقد سرت أنت فيه ولوثت به نعليك

هيرودس — وماذا علىّ من ذلك ؟ : آه ! أنظرى إلى القمر ! لقد صار أحمر كالدم ، آه ! النبي تنبأ بذلك . قال إن القمر سيصير أحمر كالدم ، أليس كذلك ؟ لقد سمعتم إلى قوله جميعاً . صار القمر أحمر كالدم ، ألا ترونه ؟

هيرودية — أراه جيداً ، والنجوم تسقط كالتين الأخضر ، أليس كذلك ؟ والشمس ستغدو سوداء ككيس من شعر فاحم ، وملوك الأرض يستولى عليهم الرعب . هذا ظاهر واضح على الأقل . النبي كان على حق للمرة الأولى فى حياته . ملوك الأرض يستولى عليهم الرعب ... يحسن أن ندخل . أنت مريض ، وسيقال لأهل روما إنك مجنون ... هلم ندخل

صوت يوحنا — من هذا المنحدر من عيساف ابن إسحق القادم من بصرى (بلد بالشام كانت تحت حكم الرومان) فى ثوبه الأرجوانى ، المشرق الطلعة فى جميل ثيابه ؟ من هذا الذى يمشى فى قوة هائلة آخاذة ؟ لماذا ثيابك ذات ألوان قرمزية ؟

هيرودية — هلم ندخل . صوت هذا الرجل يهيج أعصابى ويبعث الضيق فى صدرى . لا أريد أن ترقص ابنتى وهو يصرخ على هذه الصورة ، لا أريد أن ترقص ابنتى وأنت تنظر إليها هكذا

هيرودس — لا تنهضي يا زوجى ، يا مليكتى ، فلن يكون لإصرارك أية ثمرة . لن أبرح مكانى حتى ترقص ابنتك . أرقصى يا سالوما ، أسعديني بالرقص كما وعدت

هيرودية — لا ترقصى يا ابنتى

سالوما — إليك الرقص أيها الأمير

(ترقص سالوما رقصة البراقع السبعة)

هيرودس — آه ! رقص فخم رائع : إنك ترين أن ابنتك قد رقصت لى . اقتربى يا سالوما ! اقتربي حتى أستطيع أن أعطيك أجر ما فعلت . إنى كريم مع الراقصات إلى حد كبير . وسأعطيك من الأجر ما يرضيك . سأعطيك كل ماتطلبين . ماذا تريدين ؟ تكلمى

سالوما — (راكعة) أريد أن يقدم إليّ الآن فى طست من الفضة ...

هيرودس — (ضاحكا) فى طست من الفضة ؟

نعم فى طست من الفضة دون شك . إنها فاتنة خلابة أليس كذلك ؟ ما الذى تريدين أن يقدم إليك فى طست من الفضة يا عزيزتى الجميلة سالوما ، يا أجمل فتيات يهودية ؟ تكلمى . مهما يكن الشئ الذى تطلبين ، فانى أعطيك إياه . كنوزي بين يديك وهى ملك لك . ماذا تطلبين يا سالوما ؟

سالوما — (تنتصب على قدميها) رأس يوحنا

هيرودية — آه ! قول صائب يا ابنتى

هيرودس — لا . لا

هيرودية — أحسن ما يقال يا ابنتى

هيرودس — كلا ، كلا ياسالوما . إنك لاتطلبين ذلك . لاتستمعى إلى قول أمك . إنها تقدم إليك دائما الرأى المعوج والنصح السيئ . لا تعيرى قولها التفاتاً .

سالوما — إنى لا أتبع نصح أمي ، ولكنى أطلب رأس يوحنا فى طست من الفضة تحقيقاً لمسرة نفسي . لقد أقسمت يا هيرودس . لا تنس أنك أقسمت

هيرودس — أعرف ذلك . أقسمت بآلهتى . أعرف ذلك جيداً ، ولكنى أضرع إليك يا سالوما أن تطلبي منى شيئاً آخر غير الذي طلبت . اطلبي منى نصف ملكي أمنحك إياه . ولكن لا تسأليني ما طلبت

سالوما — أسألك رأس يوحنا

هيرودس — كلا ، كلا ، لا أريد

سالوما — لقد أقسمت أيها الأمير

هيرودية — نعم أقسمت أمام الحاضرين جميعاً وبلغ القسم مسامعهم

هيرودس — أسكتى إنى لا أوجه إليك الحديث

هيرودية — ابنتى على حق فى طلب رأس هذا الرجل . إنه قذفنى بالسباب ورمانى بأبشع الأقوال لا تنزلى عن طلبك يا ابنتى . لقد أقسم أمام الحاضرين جميعاً

هيرودس — أسكتى . كفى عن مخاطبتى ... أصغي إلي ياسالوما ، ينبغي أن يتغلب العقل على الهوى أليس كذلك ؟ أفزعى إلى العقل فذلك أجدى عليك . إنى لم أقس عليك قط ولم يبد منى إساءة تأخذينها علىّ . لقد أحببتك فى كل حين ... وربما ذهبت فى حبك إلى حد الغلو والاغراق ، ومن أجل هذا أرجو أن تعدلى عما طلبت . إن ماتطلبين بشع مخيف . وفى الحق أنى لا أعتقد أنك جادة فى طلبك . رأس إنسان مقطوع ، هذا شئ دميم ، أليس كذلك ؟ هذا شئ لايجوز أن تراه عذراء . أى سرور يبعثه فى نفسك هـذا المنظر الفظيع ؟ إنه لا يبعث فى النفس غير التقزز والاكتئاب . كلا ، كلا ، إنك لاتريدين ذلك ... أصغى إلي لحظة . عندى زمردة ، زمردة كبيرة مستديرة أرسلها إلىّ أقرب المقربين إلى قيصر . إذا نظرت خلال هذه الزمردة استطعت أن تشاهدى أشياء تقع على مسافة هائلة . قيصر نفسه يحمل زمردة تماثلها تماماً حين يذهب إلى القرق (أى السرك) ولكن زمردتى أكبر . أعرف جيداً أنها أكبر . إنها أكبر زمردة فى العالم . إنك تريدينها أليس كذلك ؟ أعطيك إياها فاطلبيها منى .

سالوما — أطلب رأس يوحنا

هيرودس — أنت لاهية عني لا تسمعين لقولى

أوه : دعينى أتكلم يا سالوما

سالوما — رأس يوحنا

هيرودس — كلا ، كلا ، إنك لا تريدين ذلك . تقصدين بطلبك هذا إلى إيلامي ليس غير ، لأنى أطلت إليك النظر هذا المساء . إيه ! نعم نظرت إليك المساء كله ... جمالك بعث فىّ الاضطراب ... جمالك غمز علىّ الاضطراب الشديد ، وقد حدقت فيك أكثر مما ينبغى ، ولكنى لن أعود إلى مثل هذا العمل . ينبغى ألا ينظر الانسان إلى الأشياء ولا إلى الأشخاص ... لا يجوز النظر إلا فى المرايا لأنها لا تظهر لنا إلا أقنعة ... أوه : على بنبيذ ! الظمأ يستبد بى ... سالوما ، سالوما ، فلنكن صديقين ... تفهمى قولى ... ماذا كنت أريد أن أقول ؟ في أى شأن كنا ؟ آه : أذكر الآن : ... سالوما ، كلا ، اقتربى أكثر من ذلك . أخشى ألا يصل صوتي إلى سمعك ... سالوما ، تعرفين طواويسى البيضاء الجميلة التى تمرح فى الحديقة بين الآس البرى وأشجار السرو الكبيرة ، مناقيرها ذهبية والحب الذى تأكله ذهبى أيضا ، وأرجلها في لون الأرجوان . إذا صرخت هطلت الأمطار ، وإذا تبخترت وعقدت ذيلها على شكل مروحة بزغ القمر ؛ وهى تسير اثنين اثنين بين أشجار السرو والآس البرى الأسود ، ولكل طائر منها عبد يقوم بشأنه . وفي بعض الأحيان تطير خلال الشجر ، وفى أحيان أخرى ترقد على العشب وحول البحيرة . ليس فى العالم طير لها مثل سحرها ، ليس فى العالم ملك يملك طيراً عجيبة مثل هذه . أعتقد أن قيصر نفسه لا يملك طيراً رائعة الجمال مثل هذه . سأعطيك خمسين طاووساً منها ، فكيف ترين ؟ ستتبعك أينما سرت ، وستكونين بينها كالقمر وسط سحابة كبيرة بيضاء ... سأعطيك كل ما أملك منها . ليس عندى إلا مائة ، وليس فى العالم ملك يملك طواويس مثل التى عندى ، ولكنى سأعطيك إياها جميعاً . وينبغى فى مقابل هذا أن تحلينى من كلمتى وتعدلى عما طلبت

(يفرغ كأس النبيذ فى جوفه)

سالوما — أعطنى رأس يوحنا

هيرودية — أحسنت القول يا ابنتى : أما أنت فانك شديد السخف بطواويسك

هيرودس — أسكتى ، إنك تصرخين دائماً . تصرخين كحيوان مفترس . لا يجوز أن تصرخى هكذا . صوتك يبعث فى نفسى الملل . ربما يكون هذا الرجل مرسلا من قبل الله . أعتقد أنه مرسل من قبل الله . إنه لرجل طاهر مقدس . لقد لمسه الله بأصبعه ، ووضع فى فمه كلمات مخيفة هائلة . الله دائماً معه ، فى القصر وفى الصحراء على السواء ... هذا ممكن على الأقل لا نستطيع أن نجزم ، ولكن ليس بمستحيل أن يكون الله معه يحبه ويشد أزره . ومن أجل ذلك قد تحدث مصيبة إذا مات هذا الرجل ... ألم يقل إنه فى اليوم الذى سيموت فيه ستنقض مصيبة على أحد من الناس ؟ قد لا تصيب غير شخصى . أذكرى أنى انزلقت على الدم حين دخلت الشرف ، ثم سمعت صفق أجنحة فى الهواء . حدثان ينذران بالشر من غير شك ... هيه ! سالوما إنك لا تريدين أن تصيبنى مصيبة ، أليس كذلك ؟ أوه ! استمعى ؟

سالوما — أعطني رأس يوحنا

هيرودس — أترين أنك لاتصغين إليّ ؟ ! ولكن تملق الهدوء . أنظري إليّ ، إني هادىء إلى أقصى حد . أصغي إلي ، عندي حلي مخبأة هنا لم يرها أحد ، وأمك نفسها لم يقع عليها بصرها قط ، حلي عجيبة تدهش العقل وتبهر النظر . عندي عقد من اللؤلؤ ذو أربعة صفوف ، من يرى هذه اللآلىء يخيل إليه أنها أقمار قد سلكت في أشعة من فضة . لكأنها خمسون قمراً في أسر خيط من ذهب ، وقد حملته فيما مضى ملكة على صدرها العاجي . أما أنت فانك حين تضعينه على صدرك ستكونين جميلة رائعة كملكة . عندي نوعان من جوهر عجيب ، أحدهما أسود اللون كالنبيذ ، والآخر أحمر اللون كالنبيذ إذا مزج بالماء . عندي أحجار كريمة من الزبرجد الأصفر كعيون النمور ، ومن الزبرجد الوردي كعيون الحمام ، ومن الزبرجد الأخضر كعيون القطط ، عندي أحجار لبنية تضيء دائماً بشعلة باردة لا أثر للحرارة فيها ، وأحجار لبنية أخرى تحزن الأفكار وتخشى الظلمات . عندي كثير من أحجار الجزع Onyx تشبه إنسان عين امرأة ميتة . عندي أحجار زبد القمر Selenites تتغير حين يتغير القمر وتصير صفراء مبهوتة حين ترى الشمس . عندي صفير [1] كبير الحجم كالبيض ، وأزرق اللون كالأزهار الزرقاء ، البحر يموج في داخله والقمر لايعكر البتة زرقة أمواجه . عندي أنواع كثيرة من الزبرجد والياقوت والحجر اليماني والأخليدونيا ، وسأعطيك كل هذا لا أنقص منه شيئاً ، وسأضيف إليه أشياء أخرى . أذكر الآن أن ملك الهند أرسل إليّ منذ أربعة أيام مراوح مصنوعة من ريش الببغاء ، وأرسل إليّ ملك نوميديا ثوباً مصنوعاً من ريش النعامة . عندي مرآة من البلور لايجوز للنساء أن تراها ، والفتيان أنفسهن لايجوز أن يروها إلا بعد أن يضربوا على ظهورهم بالعصي والقضبان . وعندي في خزانة من الصدف ثلاثة أحجار من الفيروز عجيبة فتانة ، إذا وضعها الانسان على جبينه استطاع أن يتصور أشياء لا وجود لها ، وإذا حملها في يده استطاع أن يضرب العقم على النساء . إنها كنوز نفيسة لاتقدر بثمن . وليس هذا كل شيء . عندي في خزانة من الأبنوس قدحان من عنبر كتفاحتين من ذهب ، إذا صب فيهما عسل سما ، صارا كتفاحتين من فضة . وعندي في خزانة مرصعة بالعنبر نعال مرصعة بالزجاج . عندي عباءات ثمينة وأساور محلاة بالياقوت واليشم Gade من صنع مدينة الفرات ... تكلمي ، ماذا تريدين ياسالوما ؟ أفصحي عما ترغبين فيه حتى أعطيك إياه . سأعطيك كل ما تطلبين إلا شيئاً واحداً . سأعطيك كل ما أملك إلا حياة واحدة . سأعطيك عباءة الكاهن الأكبر . سأعطيك برقع المحراب

اليهود — أوه ! أوه !

سالوما — أعطني رأس يوحنا

هيرودس — (يفور في مقعده) ليكن لهاما تطلب حقاً إنها بنت أمها !

(الجندي الأول يقترب . هيرودية تأخذ من يد الأمير خاتم الموت فيتناوله منها الجندي ويحمله سريعاً إلى الجلاد . الجلاد يبدو عليه الفزع)

(١) ياقوت أزرق

من ذا الذى أخذ خاتمى ؟ كان فى يدي اليمنى خاتم . من ذا الذى شرب نبيذى ؟ كان في قدحى نبيذ ... أوه ! ستحدث مصيبة من غير شك (الجلاد ينزل إلى الصهريج) آه ! لماذا أعطيت كلمتى وقطعت على نفسى عهداً ؟ يجب على الملوك ألا يعدوا أو يقطعوا على أنفسهم عهداً . فظيع إذا أخلفوا ولم يوفوا ، وفظيع أيضاً إذا بروا بوعدهم ..

هيرودية — أجد أن ابنتى قد أحسنت صنعا

هيرودس — ستحدث مصيبة من غير شك

سالوما — (تنحنى على الصهريج وتنصت) لا أسمع صوتاً . لماذا لا يصرخ هذا الرجل ؟ آه ! لو حاول أحد أن يقتلنى لصرخت وقاومت ... اضرب اضرب يا نعمان . إنى لا أسمع شيئاً فى الصهريج سكون رهيب ! سقط على الأرض شيء . سمعت شيئاً يسقط ... إنه سيف الجلاد . استولى الخوف على هذا العبد ، ينبغى إرسال جند (ترى غلام هيرودية فتخاطبه) تعال هنا . قل للجند أن ينزلوا إلى الصهريج ويحضروا لى ما طلبته ، ما وعدنى به الأمير ، ما هو ملكى (الغلام يتراجع مذعوراً . فتخاطب سالوما الجند) أيها الجند ، انزلوا إلى الصهريج وجيئونى برأس ذلك الرجل (الجند يتراجعون) أيها الأمير ، أيها الأمير ، مرجنودك أن يأتونى برأس يوحنا (يد كبيرة سوداء يد الجلاد تخرج من الصهريج حاملة رأس يوحنا على رمح من الفضة . تتناول سالوما الرأس . هيرودس يغمى وجهه بعباءته هيرودية تبتسم وتهز مروحتها . الناصريان يركعان ويشرعان فى الصلاة) . آه لم تشأ أن تدعنى أقبل ثغرك يا يوحنا إذن سأقبله الآن . سأعضه بأسنانى كما يعض الانسان فاكهة ناضجة . نعم سأقبل ثغرك يا يوحنا . قلت لك إنى سأقبله أليس كذلك ؟ إذن سأقبله الآن ... ولكن لماذا لا تنظر إلىّ يا يوحنا ، عيناك الجبارتان المخيفتان اللتان كانتا مليئتين بالغضب والازدراء ، أراهما الآن مغلقتين ، ولماذا أراهما مغمضتين ؟ افتح عينيك ، ارفع جفنيك يايوحنا . لماذا لاتنظر إلي ؟ هل أبعث فيك الخوف فلا تريد أن تنظر إلي ؟ ... ولسانك الذي كان كثعبان أحمر ينفث السم ... إنه ساكن لا يتحرك هذه الحية الحمراء التى رمتنى بسمها . لا تقول الآن شيئاً ، هذا غريب ، أليس كذلك ؟ كيف حدث أن الحية الحمراء لم تعد تتحرك ... ؟ لم تشأ أن أدنو منك وألمسك لقد رفضت ودي يا يوحنا وكلت لى الأقوال الشائنة وعاملتني كمستهترة ، كبغى ، أنا سالوما بنت هيرودية أميرة يهودية! ها أنذى يايوحنا ما أزال على قيد الحياة أما أنت فانك ميت ورأسك فى حوزتى وملك لي ، وفى استطاعتى أن أفعل به ما أشاء ؛ فى استطاعتى أن ألقيه للكلاب ولطير الهواء ، فتنهشه الكلاب وتلتهمه طير الهواء . آه! يا يوحنا،يايوحنا، أنت الرجل الوحيد الذى أحببته ... كنت جميلاً يا يوحنا ... جسمك كان عموداً من العاج على قاعدة من الفضة كان حديقة تموج بالحمام وأزهار السوسن الفضة . كان برجاً من الفضة مرداناً بقوائم من العاج . ليس فى العالم جسم فى مثل بياض جسمك . ليس فى العالم شيء يماثل شعرك فى سواده . ليس فى العالم كله شيء يضارع ثغرك فى حمرته . كان صوتك مبخرة ينتشر منها عبير غريب ، وحين كنت أنظر إليك ،

كنت أسمع موسيقى عجيبة : آه! لماذا لم تنظر إلى يا يوحنا؟ خلف يديك وسبابك وشتائمك ، أخفيت وجهك . لقد وضعت على عينك عصابة ذلك الذي يريد أن يرى آلهة . إذن رأيت ربك يا يوحنا ، أما أنا ، فانك لم ترني قط . لو رأيتني لأحببتني كما رأيتك يا يوحنا وأحببتك . أوه ! لشد ما أحببتك وما أزال أحبك يا يوحنا . لا أحب سواك ... إني متعطشة إلى جمالك ، متلهفة على جسمك ، ولن يهدهد رغبتي نبيذ أو فاكهة . ماذا أفعل الآن يا يوحنا ؟ لا الأنهار ولا البحار تستطيع أن تطفئ غلة هواي . كنت أميرة فازدريتني ، وكنت عذراء فقضيت على نضرتي ، وكنت على طهر فلأت عروق بالنار ... آه ! آه ! لماذا لم تنظر إليّ يا يوحنا ؟ لو نظرت إليّ لأحببتني . أعرف جيداً أنك لو نظرت إليّ لأحببتني ، وأن لغز الحب أكبر من لغز الموت . لا ينبغي النظر إلا إلى الحب

هيرودس — إنها وحش بشع . ابنتك وحش مفترس . إن ما فعلته لجريمة كبرى من غير شك . أعتقد أن ما فعلته جريمة ضد إلـه مجهول

هيرودية — أقر عمل ابنتي وأريد البقاء هنا الآن

هيرودس — (وهو ينهض) آه ! الزوجة الآثمة التي تتكلم ! المرأة التي تقر المحرمات ! هيا لا أريد البقاء في هذا المكان ... ستحدث مصيبة لا محالة ... ماناس ، أساكار ، أوزياس ، أطفئوا المشاعل حتى لا أرى الأشياء ولا ترانى . أطفئوا المشاعل . إحجبوا القمر وانشروا على النجوم غطاء! هلم نختبىء في قصرنا يا هيرودية فقد بدأت أشعر بالخوف

(العبيد يطفئون المشاعل . النجوم تختفي . سحابة كبيرة سوداء تمر بوجه القمر وتحجبه تماماً . المسرح يغمره ظلام دامس ويشرع الأمير في الصعود على السلم الكبير)

صوت سالوما — آه ! لقد قبلت ثغرك يا يوحنا كان على شفتيك طعم حريف لاذع . أكان هذا طعم الدم ؟ ربما كان طعم الحب . يقال إن للحب طعما لاذعاً ... ولكن ماذا يهم ؟ لقد قبلت ثغرك يا يوحنا

(يسقط على سالوما شعاع من ضوء القمر وينيرها)

هيرودس — (يلتفت إلى الخلف ويرى سالوما) اقتلوا هذه المرأة !

(الجند ينقضون على سالوما بنت هيرودية أميرة يهودية . ويسحقونها بسلاحهم)

(تمت)

عربها

حسن صادق

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب